صِفَاتُ الأجيرِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ

((دراسة دلالية))

م.م. تيسير حبيب رحيم
المديرية العامة للتربية– محافظة المثنى
جمهورية العراق

فحوى البحث

بحث موجز يتعرض لمســـــألة (الأجر) الذي أعده الله– سبحانه– لفئات من الناس في الدنيا أو الآخرة.

وقد وصف هذا الأجر بأوصـــاف هي (العظيم –الكريم – الكبير– الحسن–وغير المنون) وكل وصف منها يمثل منزلة معينة عند الله – تعالى –يمكن فهمها من خلال الواقع اللغوي للعربية التي نزل القرآن بلسانها، و على وفق معطيات حاول اللغويون من أهل المعاجم والمفسرون تتبع مدلولاتها.

لقـــد عرض السيد الباحث هذه المفاهيم الوصفية للأجر وتقصّاها آية آية لشرح مداليلها اللغوية، خاتما بحثه بالنتائج التي وصل اليها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــــة:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾. وصل اللهم على خير الناس شرفاً ونسباً، محمد وآله الطيبين الطاهرين أعلام التقى.

ما يزال القرآن الكريم منبعاً ثريّاً ينتهل منه طلاب العلم مادتهم العلمية بالفروع كافة (العلمية والإنسانية) وهذا بحث تناولت فيه صفات الأجر في القرآن الكريم دراسة دلالية. وقد قام هذا البحث على دراسة الصفات النحوية للأجر دون غيرها. إذ إنّ القرآن الكريم ذكر الأجر موصوفاً بالصفة النحوية في موارد كثيرة فوصفه بـ (العظيم، الكريم، والكبير، والحسن، وغير ممنون). فكان البحث يدور حول دراسة دلالة هذه الصفات للأجر وكيف وظفها القرآن الكريم في سياقها المناسب.

ويقوم هذا البحث على توطئة درست فيها الأصل اللغوي للفظة (الأجر) في المعجمات العربية، ومن ثم دخلت في أصل البحث وهو دراسة هذه الصفات للأجر، فكان البحث يقوم على دراسة كل صفة دراسة معجمية ثم دراستها في متن البحث وكيف وُظفت مع السياق المناسب لها. بعد ذلك كانت الخاتمة وفيها مجموعة من أهم النتائج التي توصل لها البحث.. وقد اعتمد البحث على مجموعة من المعاجم اللغوية كالعين، ومقاييس اللغة، ولسان العرب، ومجموعة من كتب تفسير القرآن كتفسير الكشاف، وتفسير البحر المحيط، وتفسير مفاتيح الغيب، وثلة من المصادر والمراجع النحوية والصرفية.

توطئـــــة:

الأجر لغة: ((جزاءُ العَمَل... أَجَر يأجُرُ والمفعول: مأجور والأَجِيرُ: المُسْتَأْجُر والإِجارةُ: ما أعطيت من أَجْرٍ في عَمَل وآجَرْتُ مَمْلوكي إيجاراً فهو مُؤْجَر))[1] ويرى ابن فارس (ت

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٦: ١٧٣.

٣٩٥هـ) أنّ لهذا الجذر اللغوي دلالتين هما الجزاء على العمل مادياً كان أو معنوياً، والأخرى جبر ما كُسر من العظم. قال: ((الهمزة والجيم والراء أصلان يمكن الجمعُ بينهما بالمعنى، فالأول الكِراء على العمل، والثاني جَبْر العظم الكَسِير. فأمّا الكِراء فالأجر والأُجْرة))[٢]. وقد خص الأجر بجزاء الخير من دون غيره فهو يدل على الثواب من دون العقاب[٣]. و هناك فرق بين الأجر والجزاء، فالأجر لا يقال إلا فيما كان عن عقد أو ما يشابهه ولا يقال إلا في النفع. أما الجزاء فيقال فيما كان عن عقد أو غيره، ويقال في النافع والضار[٤]. وحده صاحب التعريفات بقوله: هو ((عبارة عن العقد على المنافع بعوض هو مالٌ. وتمليك المنافع بعوضٍ إجارةٌ، وبغير عوض إعارةٌ))[٥].

(٢) معجم مقاييس اللغو، أحمد بت فارس: ١: ٦٣.
(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (مادة أجر): ٤: ١٠.
(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني: ١١.
(٥) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني: ٩.

وقد راعى القرآن الكريم في توظيف هذه المفردة دلالتها المعجمية، فما ذكره منها قائم على أساس الجزاء النفعي سواء أكان هذا الجزاء دنيوياً أم أخروياً. فضلاً عن كون هذا الأجر إنّما هو جزاء عن عقد أو ما شابهه.

هذا وقد جاء الأجر في القرآن الكريم بأنماط نحوية مختلفة، فمرة جاء نكرة، ومرة معرف بالإضافة، ومرة موصوف بالصفة النحوية. والأخير هو مدار البحث.

لقد ورد ذكر الأجر في القرآن موصفاً بالصفة النحوية في موارد كثيرة وصلت ما يقارب نحو (تسعة وعشرين) مورداً. وقد خصص هذا الوصف بخمس صفات هي (العظيم، الكبير، الكريم، الحسن، غير الممنون).

أولاَ: الأجر العظيم:

إنّ من ينعم النظر في دلالة (ع، ظ، م) في المعجمات العربية يجد أن هذه اللفظة قد وردت بدلالتين إحداهما مادية، والأخرى معنوية.

أما الأولى منهما: فهي الدالة على

عظم الإنسان، قال الخليل (ت ١٧٠هـ): ((العظام جمع العظم وهو قصب المفاصل))[٦] والعظم: ((خَشَبُ الرَّحْلِ بلا أَنْساعٍ ولا أَداةٍ... والعَظَمَةُ: ثوب تُعظمُ به المرأةُ عَجيْزَتَها، ومِثْلُها العِظَامَةُ. وهو مُسْتَغْلَظُ الذراع أيضاً... والعَظْمِيُّ: جِنْسٌ من الحَمام؛ وهو إلى البَياض))[٧]، و منه عَظْم الفدان: وهو: ((لوحه العريض الذي في رأسه الحديدة تُشق به الأرض))[٨].

وأما الدلالة الأخرى (المعنوية) فتدل على الكبر والقوة، قال بن فارس: ((العين والظاء والميم أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على كِبَرٍ وقُوّة. فالعِظَم: مصدر الشَّيء العظيم. تقول: عَظُمَ يَعْظُم عِظَماً، وعظّمته أنا. فإذا عَظُم في عينيك قلت: أعْظمتُه واستعظمْتُه. ومُعظَم الشّيء: أكثرهُ))[٩]، ومنه قيل للنازلة الملمة الشديدة بالعظيمة[١٠] والعظيم: هو ((الذي جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عن حدودِ العُقول حتى لا تُتَصَوَّر الإحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتِه والعِظَمُ في صِفاتِ الأَجْسام كِبَرُ الطُّولِ والعرضِ والعمْق))[١١].

وقد جاء هذا الوصف في النص القرآني أسمي الدلالة فهو يدل على الثبوت والدوام[١٢] وغالبا ما يتعلق هذا الوصف بالشيء المهول في تصوره و لا يمكن تحمله أو الإحاطة بكنهه، كما جاء في الغالب مرتبطاً بالعالم الأخروي تخويفاً وتهديداً[١٣] و وصف الأجر بالعظمة في القرآن الكريم في (أربع عشرة) مرة[١٤] و هو الأكثر وروداً. من ذلك:-

١. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ

(٦) كتاب العين،، ١، ٩١.
(٧) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد:، وينظر: لسان العرب: ١٢: ٤٠٩.
(٨) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده: ١: ٤١٩.
(٩) معجم مقاييس اللغة: ٤: ٣٥٥.
(١٠) ينظر: كتاب العين: ٢: ٩١.
(١١) لسان العرب: مادة (عظم): ١٢: ٤٠٩.
(١٢) ينظر: التعظيم في التعبير القرآني: أنماطه ودلالاته، د. علي فرحان، مجلة أوروك، ع٣، م٨: ٩.
(١٣) ينظر: المصدر السابق: ٨٣.
(١٤) ينظر على سبيل المثال للحصر: آل عمران: ١٧٩، و الأنفال: ٢٨، والنساء: ٤٠ -٦٧- ٧٤ -١١٤ -١٤٦.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٢].

تتحدث الآية المباركة عن ثلة من المؤمنين قدموا أنفسهم فداء في سبيل الله تعالى، وهل يوجد شيء أعظم من أنّ يضحي الإنسان بأعز ما يملك وهو النفس في سبيل الله. و يكاد يتفق أغلب المفسرين على أنّ هذه الآية المباركة قد نزلت عندما استنفر الرسول المسلمين بعد انتهاء معركة أُحد لطلب الكفار وقال: لا يخرجنّ معنا إلا من شاهدنا بالأمس، وكانت بالناس جراحة وقرح عظيم فاستجاب له مائتا رجل، وقيل تسعون[١٥]. فجاءت هذه الآية المباركة لبيان ما أعد الله لهم من ثواب وأجر جزاءً لما فعلوه من تلبيتهم لدعاء الله ورسوله، فقالت: إنما أُعد لهم هو أجر عظيم، فهو أجر متناهٍ لن تبلغ العقول كنهه ومعرفته، إذ إنّه ((أجر عظيم وخير جسيم، بالعكوف في الحضرة، والتنعم بالشهود والنظرة))[١٦] وعلى الرغم من أنّ وصف الأجر بالعظمة بحد ذاته يكفي لبيان ماهية ذلك الأجر وعلو قدره ورفعة منزلته، إلا أنّ القرآن عمد لاستعمال صيغة (فعيل) لبيان تلك الصفة، وهذه الصيغة تدل على الدوام والثبوت وأنها ملازمة لصاحبها وكأنها طبيعة فيه فهي لا تفارقه[١٧] فضلاً عن تنكير الأجر، إذ إنّ التنكير نمط لغوي براد منه الإبهام على نحو الإجلال والعظمة وكأنه شيء لا يحيط به الوصف[١٨]. والملاحظ إنّ السياق الذي ورد فيه وصف الأجر بالعظيم هو سياق تعظيم، فقيام هذه الثلة المؤمنة على الرغم مما كان فيهم من جراح وقراح بالاستجابة لدعوة الله والرسول ﷺ، وهذه الاستجابة كان فيها تعريض النفس للموت، فلا شك بأنه أمر عظيم يستحق أن يُجازى عليه الإنسان

(١٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري: ٧: ٣٩٩، و تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٣: ١٢٢.

(١٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد ابن عجيبة: ١: ٤٣٧.

(١٧) ينظر: معاني الأبنية، د. فاضل السامرائي: ١٠٢.

(١٨) ينظر: التعظيم في التعبير القرآني أنماطه ودلالاته: ٣١.

بأعظم الأجر وأرفع المنازل.

٢. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[سورة التوبة: ٢٠-٢٢].

إنّ السياق الذي ورد فيه وصف الأجر بالعظمة إنّما هو سياق تعظيم، إذ إنّ الآية الأولى تتحدث عن أمور عظيمة هي: الأيمان بالله تعالى والهجرة حفاظاً على ذلك الإيمان ومن ثم الجهاد بالمال والنفس فداءً له. وهذا كله من أعظم ما يقوم به الإنسان في سبيل الله تعالى. ثم بينت الآية ما أُعد من جزاء لمن يقوم بهذا من منزلة رفيعة ودرجة عظيمة قبال تلك الأعمال. والملاحظ أن الله تعالى عمد لبيان منزلة الدرجة باستعمال صيغة التفضيل (أعظم) وهذا يدل على قوة التفضيل والعظمة. ثم جاءت الآية الثانية لتبين تلك الدرجة العظيمة وهي ((عناية الله تعالى بهم بإدخال المسرة عليهم، وتحقيق فوزهم، وتعريفهم برضوانه عليهم، ورحمته بهم، وما أعد لهم من النعيم الدائم))[١٩] والملاحظ أنّ تفصيل وتبين الدرجة العظيمة في هذه الآية جاء على صيغة التنكير (رحمة، رضوان، جنات) وهذا من باب زيادة التعظيم، بقرينة المقام[٢٠]. إذ إن من دلالات التنكير التعظيم[٢١]. ثم جاءت الآية الثالثة لتبين أنّ ما ذكر من رحمة ورضوان وجنات هو في حقيقة الأمر بعض ما عند الله تعالى من الخيرات فيحصل به الترغيب في زيادة الأعمال الصالحة[٢٢] وفيها وصف ذلك العطاء والثواب بالأجر العظيم فهو أجر ((يستحقر دونه مشاق الأعمال المستوجبة له، أو نعيم الدنيا، إذ لا قدر له في جانب نعيم الآخرة))[٢٣] وقيل:

(١٩) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور: ١٠: ١٤٩.
(٢٠) ينظر: المصدر السابق: ١٠: ١٥٠.
(٢١) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ١: ٣٧.
(٢٢) ينظر: التحرير والتنوير، : ١٠: ١٥٠.
(٢٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٢: ٣٦٧.

هو أجر مضاعف لا تبلغه نعمة غيره من الخلق[٢٤]. ومما هو ملاحظ أنّ الله تعالى قد بين صفة الأجر بصيغة الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام وفيه تناسب واضح بينها وبين صفة المقيم والخلود اللتين قبله. ومما يزيد من تعظيم ذلك الأجر تقديم الخبر على المبتدأ في قوله (عنده).

٣. قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٥].

الآية المباركة في مجملها تتحدث عن مفاضلة بين فئتين من المؤمنين، الأولى قاعدة عن أمر عظيم وشأن جليل، والأخرى قائمة به على أتم وجه وهذا الأمر العظيم هو التضحية في سبيل الله بالمال والنفس.

وبينت أنّ هاتين الفئتين لا تساوي بينهما في قضيتين عظيمتين: الأولى هي الدرجة العالية التي وعدها الله تعالى للمجاهدين بالمال والنفس، والأخرى هي العطاء العظيم الذي أعده الله لهم. فهو عطاء متناهٍ في الوصف لا يبلغ كنهه أحد. وقد جاء وصف الأجر بالعظمة في سياق كثرت فيه القرائن التي تدل على التعظيم كتنكير (الدرجة، و الأجر)، وتكرار جملة (بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) التي تمثل العمل المجازى عليه. و جملة (فَضَّلَ اللَّهُ) التي تمثل الجزاء على ذلك العمل مع كلا الجزاءين. فضلاً عن أنّ هذين الجزاءين إنّما كانا على أمر عظيم ألا وهو الجهاد في سبيل الله تعالى بالمال والنفس. إضافة إلى ذلك إضافة كلمة (سبيل) إلى لفظ الجلالة وهذا من باب التعظيم إذ إنّ ((من التعظيم ما يضاف إلى اسمه الكريم تخصيصاً به وتشريفاً له))[٢٥]. مما سبق يمكن القول: إنّ وصف الأجر بالعظمة إنّما جاء في سياق الأمور العظيمة.

ثانياً: الأجر الكبير:

(٢٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٥: ١٨٧.

(٢٥) التعظيم في القرآن الكريم أنماطه ودلالاته ٢٥.

الكبير في أصل اللغة ضد الصغير، قال بان فارس: ((الكاف و الباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر، يقال: هو كبير، وكُبَار، وكُبّـار))[٢٦] و ((كَبْر كل شيء: عُظْمه))[٢٧] و أكبرت الشيء إذا استعظمته[٢٨]، والكِبْر رفعة الشرف وعلوه[٢٩] وقال بعض المحققين: إنّ ((الكبير هو الذي كل شيء، دونه، لكمال وجوده، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين: أحدهما دوامه أزلا وأبدا، فكل وجود مقطوع سابقا ولاحقا فهو ناقص، ولذلك يقال للإنسان إذا طالت مدة وجوده إنه كبير... والثاني: أن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود))[٣٠]. وقد وصف الأجر بالكبير في القرآن الكريم خمس مرات منها:

١. قال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٧].

أُفتتحت الآية بالدعوة إلى الإيمان إذا كان الخطاب لغير المؤمنين، أو المداومة عليه إن كان الخطاب موجهاً للمؤمنين، وفيه تكون هذه الدعوة توطئة لدعوتهم إلى الإنفاق لأنهم أهل لهذه الرتبة الرفيعة[٣١] بعد ذلك بينت الآية المباركة جزاء هذين العملين (الإيمان بالله، و الإنفاق) و وصفته بالأجر الكبير. وهو ما لا يعلم مقداره إلا الله تعالى[٣٢] وقيل: هو الثواب العظيم[٣٣] ويبدو أنّ وصف الأجر بالكبير جاء منسجماً دلالياً مع سياق الآية المباركة إذ إنّ الإيمان بالله والإنفاق في سبيله من أسمى وأرفع الرتب، وهذا يتناسب مع دلالة لفظة (الكبير) المعجمية مثلما تم تبيانه. فضلا عن أنّ وصف الأجر بالكبير فيه دلالة

(٢٦) معجم مقاييس اللغة: ١٥٣.
(٢٧) كتاب العين: ٥: ٣٦١، وينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥: ١٥٤.
(٢٨) ينظر معجم مقاييس اللغة: ٥: ١٥٤.
(٢٩) ينظر: كتاب العين: ٥: ٣٦١.
(٣٠) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١: ٤١٧.
(٣١) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧: ٣١٢.
(٣٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٤: ٢٠٣.
(٣٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩: ٥٨.

على أنّ ما يقابله من عمل أُستحق به هذا الأجر، وهو الإيمان بالله ورسوله و الإنفاق في سبيل الله يصغر إذا ما قرن به. وهذا من باب الترغيب بالعمل والتشويق للجزاء.

والملاحظ في الآية المباركة أنّ هذا الأجر ذكر بصيغة الجملة الاسمية وكان الظاهر أنّ تكون جملة فعلية جواباً للطلب (أمنوا...) فيقال مثلا: أمنوا بالله ورسوله وأنفقوا تعطوا أجراً كبيراً وهذا كله من باب المبالغة في وصف الأجر[٣٤]. إذ إنّ الوصف بالاسم أقوى دلالة من الوصف بالفعل لأنّ الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على التجدد، وما كان ثابتاً أشد تأثيراً في النفس من المتجدد[٣٥].

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [سورة الملك: ١٢].

قد بينت الآية المباركة جزاء من يخافون الله ويخشون عذابه وهو غائب عنهم، أو وهم غائبون عن الناس[٣٦] وهذا الجزاء يكمن في أمرين، الأول: مغفرة عظيمة تأتي على جميع ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي[٣٧] وقد قدم المغفرة ((تطميناً لقلوبهم لأنهم يخشون المؤاخذة على ما فرط منهم من الكفر قبل الإسلام ومن اللمم ونحوه... فكان الكلام جارياً على قانون تقديم التخلية على التحْلية، أو تقديم دفع الضر على جلب النفع))[٣٨]. أما الجزاء الآخر: فهو الأجر الكبير وقيل في معناه إنّه الجنة إذ لا يقادر قدرها وما فيها[٣٩]، و قيل: هو ((ثواب عظيم فى الآخرة فضلا منه تعالى يكون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه فى الدنيا من شدائد الآلام وتصغر في جنبه لذائذ الدنيا وهو

(٣٤) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود بن محمد الحنفي: ٥: ٢٧٢.
(٣٥) ينظر: معاني الأبنية: ١٤.
(٣٦) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧: ٩٦.
(٣٧) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٥: ١٧.
(٣٨) التحرير والتنوير: ٢٩: ٢٩.
(٣٩) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧: ٩٦.

الجنة ونعيمها))[٤٠]. ومنهم من قال في معناه وجه آخر، وهو العفو عن العقاب ومضاعفة الثواب[٤١]. ويبدو لي أنّ هذا مصداق من مصاديق دخول الجنة فهو ليس بالوجه الجديد. ووصف الأجر بالكبير فيه دلالة على أنّه ((شديد بالغ غاية ما يبلغ إليه جنسه حتى كأنه جسم كبير))[٤٢].

ويبدو أنّ وصف الأجر بهذا الوصف جاء مناسباً لسياق الآية المباركة وما فيها من قرائن تدل على العظمة والرفعة اللتين هما من الأصول اللغوية للفظة (كبير) ومن تلك القرائن وصف من يستحقون هذا الجزاء بأنهم (يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ)، وهذه الصفة (خوف الله) ((على رأس الصفات التي تدل على قوة الإيمان، وطهارة القلب، وصفاء النفس))[٤٣] أي هي في أعلى الرتب الإيمانية. أضف إلى ذلك ذكر الجزاء الأول (مغفرة الذنوب) ذُكر بصيغة النكرة وما في التنكير من تعظيم، ومن قرائن التعظيم تقديم المسند على المسند اليه (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ).

٣. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[سورة هود: ٩ -١١].

الآيتان التاسعة والعاشرة المباركتان يتحدثان عن حال الإنسان عندما تمسه السراء أو الضراء، فهو في الأولى فرح فخور وفي الأخرى يئوس كفور. ثم جاءت الآية الحادية عشرة لتستثني فئة من الناس من هذا الحكم، وهذه الفئة إنّما امتازت عن غيرها بأنّها في كلا الحالين مؤمنة صابرة عاملة للصالحات. وهذه الفئة الموصوفة بهذه الصفات إنّما استحقت الجزاء العظيم والأجر الكبير. أمّا الأول فهو مغفرة الذنوب وسترها،

(٤٠) حقي وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين بن محمد البيضاوي.
(٤١) ينظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي.
(٤٢) التحرير والتنوير: ٢٩: ٢٦.
(٤٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٥: ١٧.

وأمّا الأخر فهو الجنة[٤٤] ((لان نعم الله تعالى أدناها متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وأوسطها الجنة ونعيمها فإذا وُصف الرضى بالأكبرية لزم أن توصف الجنة بالأكبرية))[٤٥] ومنهم من قال: إنّ هذا الأجر أقله الجنة وغايته النظرة[٤٦]. وقيل إنما وُصف الأجر بالكبير ((لما احتوى عليه من النعيم السرْمَدي ورفع التكاليف والأمن من العذاب و رضى الله عنهم والنظر الى وجهه الكريم))[٤٧].

والملاحظ من سياق الآيات الثلاث إنّه سياق تعظيم وعلو و تشريف، أما التعظيم فيستشف من قرائن عدة منها تكرار القسم المحذوف الذي دل عليه جوابه (لَئِنْ أَذَقْنَا)وتنكير ألفاظ (رحمة، نعمة، ضراء)، كذلك وجود صيغة المبالغة في أكثر من مرة (يَئُوسٌ كَفُورٌ، فَرِحٌ، فَخُورٌ) أضف اليها الإشارة إلى القريب بالبعيد (أُولَئِكَ). أما العلو فتدل عليه قرينة التفاخر والتباهي التي ذكرتها الآية المباركة فقوله: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ يعني: ((إنّه لشديد الفرح و البطر بالنعمة: كثير التباهي والتفاخر بما أعطى منها))[٤٨] وإنما حصل هذا الفخر من تعاظمه على الناس بما حصل عليه من نعم[٤٩] من هذا كله يمكن القول: إنّ وصف الأجر بالكبير جاء منسجماً مع سياق التعظيم والتشريف والعلو الذي يعد من دلالات لفظة (الكبير) المعجمية.

ثالثاً: الأجر الكريم:

الكرم لغة: الشرف والعلو، قال الخليل: ((الكَرَم: شَرَفُ الرّجل... وتكرّم عن الشّائنات أي: تنزّه وأكرم نفسه عنها ورَفَعها))[٥٠] و قال ابن فارس: ((الكاف والراء والميم أصلٌ صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ في الشَّيء في

(٤٤) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٥: ٢٠٧ و البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٢: ٥١٥.
(٤٥) حقي.
(٤٦) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٢: ٥١٥.
(٤٧) تفسير البحر المحيط: ٥: ٢٠٧.
(٤٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٧: ١٠٧.
(٤٩) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٥: ٢٠٧.
(٥٠) كتاب العين: ٥: ٣٦٨.

نفسِه أو شرفٌ في خُلُق من الأخلاق... والكَرَم في الخُلْق يقال هو الصَّفح عن ذنبِ المُذنب... والأصل الآخر الكَرْم، وهي القِلادة))[٥١] ومن الأصل الأخير قيل للعنب الكَرْم ((لأنه مجتمع الشعب منظوم الحب))[٥٢]، ومن المعاني الأخرى لـ (الكرم) الكثير وذلك من قوله ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[سورة الأنفال: ٤] أي: رزق كثير[٥٣] والكريم من أسماء الباري تعالى وصفاته، وهو الكثير في خيره الجواد في عطائه والمنعم والمتفضل بآلائه. ويقال: كرّم الرجل إذا عظّمه ونزهه. والكريمان الحج والعمرة[٥٤]. والكريم ((اسم جامع لكل ما يحمد. فالله كريم حميد الفعال))[٥٥] و ((العرب تجعل الكريم تابعاً لكل شيء نفت عنه فعلاً تنوي به الذمَّ))[٥٦]. وقال صاحب التعريفات: ((الكريم من يوصل النفع بلا عوض، فالكريم، هو إفادة ما ينبغي بلا غرض، فمن يهب المال لغرض جلباً للنفع، أو خلاصاً عن الذم، فليس بكريم، ولهذا قال أصحابنا: يستحيل أن يفعل الله فعلاً لغرض، وإلا استفاد به أولوية، فيكون ناقصاً في ذاته مستكملاً بغيره، وهو محال))[٥٧].

وقد وصف الأجر في القرآن بالكريم في أربعة موارد هي:

١. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤١ -٤٤].

إنّ السياق الذي وردت فيه الآية التي وصفت الأجر بالكريم، إنما هو سياق تكثير و تنزيه وتشريف، فالتكثير واضح في قوله تعالى﴿ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ والتنزيه في قوله (سَبِّحُوهُ) إذ إنّ التسبيح ((تنزيه الحق

(٥١) معجم مقاييس اللغة: ٥: ١٧١ -١٧٢.
(٥٢) المصدر السابق: ٥: ١٧٢
(٥٣) ينظر: المحيط في اللغة.
(٥٤) ينظر: لسان العرب: ١٢: ٥١٠.
(٥٥) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري: ١٠: ٢٣٤.
(٥٦) المصدر السابق.
(٥٧) كتاب التعريفات: ١٩٣.

عن نقائض الإمكان والحدوث))[٥٨]. أما التشريف فهو في قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ وقوله ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ وأي شرف أعظم من صلاة الله والملائكة على الإنسان. ومباشرته بالتحية من لدن الله تعالى. وهذه الأمور الثلاث في مجملها تتناسب تناسبا طردياً مع أصل (الكرم) اللغوي.

إنّ الآيتين (٤٣ -٤٤) تبينان أنّ لمن يذكر الله الذكر الكثير، ويسبحه التسبيح الوفير جزاءين: الأول دنيوي (جزاء عاجل)، والآخر أخروي (جزاء آجل). أما الأول فهو الترحم والترؤف من لدن الله تعالى وذلك بإيجاب الرحمة منه تعالى، وصلاة الملائكة عليه بالدعاء والاستغفار[٥٩]. بعدها جاءت الآية (٤٤) لتبين صفة الجزاء الآجل الذي أُعد لاولئك الذاكرين المسبحين فوصفته بالأجر الكريم. و الأجر الكريم هو الثواب النفيس في نوعه (الجنة)[٦٠] وقيل هو أجر وثواب يأتيهم من غير طلبة[٦١] و وصف الأجر بالكريم إنّما هو غاية الوصف وهو أفضل خصلة[٦٢]. والملاحظ أنّ الله تعالى قد باين في التعبير عن الجزاءين (العاجل والآجل) فاستعمل للأول الجملة الاسمية، و آثر للأخر الجملة الفعلية ولعل المراد من هو((المبالغة في الترغيب والتشويق إلى الموعود ببيان أنّ الأمر الذي هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم))[٦٣].

ويبدو أنّ وصف الأجر بالكريم جاء مناسباً مع سياق الآيات المباركة الذي ورد فيها لما في هذه الآيات من قرائن تدل على التنزيه والتشريف والتكثير.

٢. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [سورة يس: ١١].

(٥٨) كتاب التعريفات: ٥٩.
(٥٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٣٣٥.
(٦٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣: ٥١.
(٦١) ينظر: تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي ٢٥: ٢١٧.
(٦٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩: ٢٥٨.
(٦٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي: ٢٢: ٤٥.

الآية -بمجملها- تتحدث عن قصر الإنذار من لدن النبيﷺ على اللذين أتبعوا الذكر وخشوا الله بالغيب. وهاتان الصفتان هما من أكمل الصفات وأشرفها، إذ إنّ ((المراد من إتباع الذكر أكمل أنواعه الذي لا يعقبه إعراض فهو مؤدٍ إلى امتثال المتبعين ما يدعوهم إليه))[٦٤] أي: ((العمل بما في كتاب الله والاقتداء به))[٦٥] والملاحظ أنّ القرآن الكريم عمد إلى استعمال صيغة (افتعل) في ذكر صفة الإتباع ومن أشهر دلالات هذه الصيغة الاجتهاد والطلب في تحقيق الفعل، وقد يكون هذه الاجتهاد مخفياً لا يجهر به فاعله[٦٦] قال سيبويه (ت١٨٥هـ): ((وأما اكتسب فهو التصرف والطلب. والاجتهاد بمنزلة الاضطراب))[٦٧]، و التصرف هو الاجتهاد في تحصيل أصل الفعل بأن يزاول جميع أسبابه[٦٨]، وهذا من أسما مراتب الأتّباع. كذلك صفة الخشية من الله تعالى. وبهذا يمكن القول إنّ سياق الآية المباركة سياق تشريف وتنزيه. فمن كان متبعاً للذكر بأسمى صور الإتبّاع واضعاً مخافة ربه نصب عينيه في كل عمل يقوم به فهو بالتالي قد بلغ أعلى منازل الشرف والرفعة وأسمى مراتب التنزيه من العثرة. وهو بهذا يستحق أن يبشر ببشارتين الأولى: مغفرة من رب غفور رحيم، والأخرى هي الأجر الكريم. وذكرت المغفرة على التنكير لبيان سعتها وانتشارها فهي مغفرة واسعة منتشرة من جميع الجوانب[٦٩] وقيل: إنّما نُكرت للتفخيم، أي: بشره بمغفرة عظيمة[٧٠]. أمّا الأجر الكريم فهو: ((كل ما يأخذ الأجير مقترناً بحمد على الأحسن وتكرمة))[٧١] وهو الثواب على الإيمان و

(٦٤) التحرير والتنوير: ٢٣: ٣٥٣.
(٦٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد بن عطية الأندلسي: ٤: ٤٤٨.
(٦٦) ينظر: أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية: د. نجاة عبد العظيم الكوفي: ٥٩.
(٦٧) الكتاب كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان٣٤: ٧٤.
(٦٨) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي: ١: ١١٠.
(٦٩) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٢٦: ٤٨.
(٧٠) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد الطباطبائي: ١٧: ٦٧.
(٧١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤: ٤٤٨.

ما قاموا به من طاعات وعبادات، وإنّما وُصف بالكرم لأنه الأفضل في نوعه[٧٢] وهو((الجنة و المراد نعيمها الشامل لما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأجل جميع ذلك رؤية الله عزّ وجلّ))[٧٣] وبهذا يمكن القول: إنّ وصف الأجر بالكريم جاء مناسباً لما في الآية المباركة من قرائن سياقية تتناسب مع الأصل اللغوي للفظة (كريم).

رابعاً: الأجر الحسن:

الحَسَنُ لغةً: ضد القبيح [٧٤]، والمحاسن من الأعمال ضد المساوئ، والمَحْسن في البدن الموضع الحسن منه[٧٥]. و((الحُسْن: نعت لما حسُن، تقول: حَسُن يحسُن حُسناً))[٧٦] و الحاسن: القمر، وحسنتُ الشيءَ أي زيّنتَه، و الحسنة خلاف السيئة[٧٧]. و((الحُسين: الجبل العالي، وبه سُمي الغلام حسيناً))[٧٨] وعرفه صاحب التعريفات بأنّه ((هو كون الشيء ملائماً للطبع، كالفرح، وكون الشيء صفة كمال، كالعلم، وكون الشيء متعلق المدح، كالعبادات. وهو ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل))[٧٩].

وقد ورد وصف الأجر في القرآن الكريم بهذه الصفة بآيتين هما:

١. قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [سورة الكهف: ١ -٢].

إنّ السياق الذي وردت فيه آية وصف الأجر بالحسن إنما هو سياق بيان لصفات كمالية متعددة أولوها أنّه-تعالى-رتب استحقاق الحمد له على إنزاله القرآن تبياناً على أنّ هذا الكتاب هو أعظم نعمائه، لأنّه مصدر الهداية لما فيه

(٧٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢: ٣٥٤.
(٧٣) روح المعاني: ٢٣: ٢١٨.
(٧٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢: ٥٨، وينظر: لسان العرب، مادة (حسن): ١٣: ١١٤.
(٧٥) ينظر: كتاب العين: ٣: ١٤٤.
(٧٦) تهذيب اللغة: ٤: ٣١٤.
(٧٧) ينظر: الصحاح في اللغة.
(٧٨) تهذيب اللغة: ٤: ٣١٦.
(٧٩) التعريفات: ٩١.

كمال العباد[٨٠] وثانيهما: وصف النبي ﷺ بالعبودية المضافة إلى الله تعالى أي: أنّه بلغ ﷺ أقصى معارج العبادة وكمال العبودية[٨١] وثالثهما: وصف الكتاب بكمال الاستقامة وذلك بنفي الاعوجاج عنه ثم أكد هذه الصفة بقوله (قَيِّمًا) أي ((مستقيماً متناهياً في الاستقامة، معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط فهو تأكيد لما دل عليه نفي العوج، مع إفادته كون ذلك من صفاته الذاتية، حسبما تُنبئ عنه الصيغة. أو قَيّمًا بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد، على ما ينبئ عنه ما بعده من الإنذار والتبشير، فيكون وصفًا له بالتكميل، بعد وصفه بالكمال))[٨٢] والتعبير عن القرآن بالكتاب فيه إشارة إلى كماله وشهرته، وجاء بلفظ (عوج)على التنكير ليبين أنّه مصون من كل أنوع الميل والاعوجاج، لأنّ النكرة في سياق النفي أعم وأشمل[٨٣]

(٨٠) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
(٨١) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٣: ٢٤٥.
(٨٢) السابق.
(٨٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٨: ٤٦٦.

وأخيراً وصف أعمال المؤمنين التي يستحقون بها البشارة بأنها أعمال صالحة لا قبح ولا سوء فيها. وهذه كلها قرائن سياقية تناسب القرينة المعجمية للفظة (حسن) التي لا يوصف بها الشيء إلا إذا وصل حد الكمال. والأجر الحسن هنا هو الجنة ونعيمها وما فيها من المثوبات الحسنى[٨٤].

٢. قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة الفتح: ١٦].

المخلفون الذين ذكرتهم الآية المباركة هم المتخلفون عن صلح الحديبية[٨٥] والقوم الذين يُدعون لقتالهم هم قوم مسيلمة الكذاب أهل الردة[٨٦] ثم بينت الآية أنهم (المخلفون) في حال استجابتهم لما دُعوا له وهو مقاتلة هؤلاء القوم

(٨٤) ينظر: الكشاف: ٣: ٥٦٥.
(٨٥) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٥: ٣٩٣.
(٨٦) ينظر: المصدر السابق.

المرتدين سيُعطون الأجر الحسن، و((هو الغنيمة في الدنيا، و الجنة في الآخرة))[٨٧] ويبدو أنّ وصف الأجر بهذه الصفة جاء مناسباً لسياق الآية المباركة، فحالة التخلف التي كان عليها هؤلاء شيء قبيح وباستجابتهم لهذه الدعوة ومقاتلة المرتدين الذين وصفتهم الآية بأنهم أصحاب قوة شديدة. وبإقدامهم على هكذا أمر فقد ارتقت حالتهم نحو الكمال. ومن سار نحو الكمال كان جزاءه الأجر الحسن الكامل. كذلك الحال مع المرتدين، فهم بارتدادهم عن الإسلام قد هَوَوا نحو الحضيض وبإسلامهم إن أسلموا فقد بلغوا الكمال.

وبهذا يمكن القول: إنّ وصف الأجر بهذه الصفة جاء منسجماً مع سياق الآيات المباركة، وقد لوحظ فيه دلالة اللفظة المعجمية.

خامساً: أجر غير ممنون:

المنّ: لغةً يعني القطع أو الانقطاع، والمنّ: الإحسان أو اصطناع الخير للآخرين[٨٨] و (أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير محسوب ولا مقطوع[٨٩] والمنّ: ((كلّ طلّ ينزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو، وينعقد عسلاً))[٩٠]. والمُنة (بالضم) القوة أو الضعف وهو من الأضداد[٩١] وبلغت منون الشيء، أي: بلغت أقصى ما عنده[٩٢] والمنون الموت وسمي بذلك لأنّه يقطع المدد وينقص العدد[٩٣].

وقد وصف الأجر بهذه الصفة في القرآن الكريم أربع مرات منها:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾ [سورة فصلت: ٨].

الآية المباركة فيها بيان لحسن عاقبة المؤمنين، أي أنّ الذي آمنوا الإيمان الحق

(٨٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥: ١٩١.

(٨٨) ينظر: كتاب العين: ٢: ١٩٩، ومعجم مقاييس اللغة: ٥: ٢٦٧.

(٨٩) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزابادي: ٤: ٢٦٨.

(٩٠) المصدر السابق.

(٩١) ينظر: المحيط في اللغة، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري: ٥: ٢٢٠٧.

(٩٢) ينظر: المحيط في اللغة.

(٩٣) ينظر: كتاب العين: ٢: ١٩٩.

وأتبعوا هذا الإيمان بالعمل الصالح لهم أجر غير ممنون[٩٤] و ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في المرضى والهرمى الذين قد يعجزون عن طاعة الله تعالى بسبب مرضهم أو كبر سنهم[٩٥] أي: أنّهم إذا عجزوا عن مواصلة ما كانوا يقومون به من أعمال صالحة فإنّ الله تعالى((كتب لهم الأجر كأصلح ما كانوا يعملون))[٩٦] و وصف هذا الأجر بأنّه (غَيْرُ مَمْنُونٍ) أي: غير مقطوع عنهم، أو غير منقوص[٩٧]، وقيل: هو أجر((غير محسوب، لأنّ كلّ محسوب محصور فهو معد لأن يمن به، فيظهر في الآية أنه وصفه بعدم المن والأذى من حيث هو من جهة الله تعالى، فهو شريف لا من فيه، وأعطيات البشر هي التي يدخلها المن))[٩٨].

ويبدو أنّ وصف الأجر بهذا الوصف جاء متناسباً مع سياق الآية المباركة فبما أنّ هؤلاء المرضي عاجزون عن ديمومة واستمرار العمل الصالح الذي يقربهم من الله تعالى بسبب عجزهم إلا أنهم يعاملون ويجازون مجازاة غيرهم من المؤمنين المواظبين على الأعمال الصالحة. وذلك الجزاء إنّما هو أجر دائم غير مقطوع ولا منقوص. وفيه كما يبدو تطمين وتبشير لهم.

٢. قال تعالى ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾[سورة القلم: ١-٣].

أقسم الله تعالى بـ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ لبيان قضيتين الأولى، هي نفي تهمة الجنون عن النبي ﷺ. والأخرى بيان ما أُعد لنبي ﷺ من أجر و ثواب وجزاء مقابل ما قاساه من ألوان الشدائد من جهة المشركين وغيرهم، و ما تحمله

(٩٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٢: ٣٢٨.

(٩٥) ينظر: الكشاف: ٤: ٣٦٩ و تفسير البحر المحيط: ٧: ٤٦٤، وتفسير الفخر الرازي: ٢٧: ١٠١.

(٩٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٥: ١٦١.

(٩٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٠٣: والكشاف: ٤: ٣٦٩.

(٩٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥: ٥.

من أعباء الرسالة[٩٩] وقد وصفت ذلك الأجر بأنه(غَيْرَ مَمْنُونٍ). وفيه قولان: الأول: إنّه أجر غير منقوص ولا مقطوع، والقول الآخر: إنّه أجر غير مقدر ولا محسوب[١٠٠] وقيل: هو أجر غير ممنون عليك به، لأنه ثواب تستوجبه على ما قمت به من عمل[١٠١]. ويبدو أنّ وصف الأجر بهذا الوصف قد تناسب مع سياق الآية، إذ إنّ وصف الأجر جاء بتركيب النفي (غَيْرَ مَمْنُونٍ) وهذا مناسب للنفي الذي قبله (نفي الجنون عن النبي ﷺ).

الخاتمة:

١. إنّ القرآن الكريم قد راعى في توظيف لفظة (الأجر) دلالتها المعجمية التي تدل على الجزاء النفعي الخيري مقابل عمل يقوم به الإنسان بعقد أو بما يشابه العقد.

٢. ورد الأجر موصوفاً بالصفة النحوية في القرآن الكريم في (تسعة وعشرين) مورداً، وقد ورد وصفه بخمس صفات: هي (العظيم، والكريم، الكبير، الحسن، غير الممنون).

٣. قد راعى القرآن الكريم الدلالة المعجمية في توظيف هذه الصفات للأجر، فذكر صفة (العظيم) في سياق الأمور العظيمة، وذكر صفة الكريم التي تدل على التكثير والتنزيه والتشريف في سياق التكثير والتنزيه والتشريف، وذكر صفة الكبير التي تدل على العلو و الرفعة في سياق العلو والرفعة، وذكر صفة الحسن التي تدل على الكمال في سياق الأمور التي تدل على الكمال، وذكر صفة (غير ممنون) المركبة نحوياً بتركيب النفي في سياق النفي.

٤. إنّ وصف الأجر بهذه الصفات جاء-غالبا -بتركيب الجملة الاسمية دون الفعلية. وهذا ما يناسب المقام لما في الاسمية من دلالة على الثبوت والدوام يتناسب مع الإخبار بدوام الأجر وثبوته. فهو أجر دائم غير زائل.

٥. إنّ الأجر الموصوف بهذه الصفات

(٩٩) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧: ١٠٦.
(١٠٠) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٣٠: ٨٠.
(١٠١) ينظر: الكشاف: ٦: ١٨٠.

كان كله من لدن الله تعالى، مخصوص بالأجر الأخروي[١٠٢].

٦. (الجنة ونعيمها).

٧. إنّ ما وصف من أجر بهذه الصفات في القرآن الكريم إنّما كان هو الجنة ونعيمها الدائم. وهذا يدل على أنّ القرآن الكريم قد خالف في هذه الألفاظ (الصفات) لمناسبة السياق.

٨. الظاهر إنّ صفة (غير ممنون) هي من أشرف صفات الأجر، لأنها تشرفت بوصف الأجر الذي أُعد للنبي ﷺ.

روافد البحث:

أولا: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المطبوعة.

١. أبحاث صرفية، خديجة زبار الحمداني، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان،ط١، ٢٠١٠م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، تح: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة السعادة، (د ت).

٣. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٩هـ)، دراسة وتح وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط٢، دار الكتب العلمية -بيروت، ٢٠٠٢.

٥. بنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية: د. نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ -١٩٨٩.

٦. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠ هـ)، تح وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، الناشر مكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

٧. التحرير والتنوير، محمد طاهر بن

(١٠٢) الكشاف -م.س.

عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.
٨. التعبير القرآني، الدكتور فاضل السامرائي، ط٥، دار عمار، عمان، ٢٠٠٧م.
٩. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب، محمد الرازي المشتهر بخطيب الريّ (٦٠٤هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان –بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
١٠. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تح: عبد الكريم العرباوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة.
١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه للمرة الثانية إدارة المطبعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، (د ت).
١٢. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، تح: محمد نور الحسن وآخرون، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان د. ت.
١٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت –لبنان. ١٩٩٠.
١٤. الفعل زمانه وأبنيته: د. إبراهيم السامرائي، ط ٣، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان. (د ت).
١٥. القاموس المحيط، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.
١٦. كتاب التعريفات، العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.
١٧. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن

عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي.

١٨. كتاب العين، عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (د ت).

١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تح وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.

٢٠. لسان العرب: ابن منظور (ت٧١١هـ)، طبعة جديدة مصححة اعتنى بتصحيحها، أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد صادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت -لبنان، (د ت).

٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤٢٢ دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان.

٢٢. معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تح: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤١٢هـ.

٢٣. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٤. معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، ط الثانية، ٢٠٠٧.